وحدة الأمة الإسلامية .. الأمل المنشود

يمر المسلمون بمرحلة تستوجب مِنْ كل مَنْ كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ، أن يسعى جاهداً لتحقيق الأخوة الإيمانية والوحدة الإسلامية ، سواءً كان حاكماً أو محكوماً ، رجلاً أو امرأة ، كبيراً أو صغيراً ، حتي نُرضي ربنا ونؤدي واجبنا ورسالتنا ، ونكون يداً واحدة على عدو الله وعدونا ، المعرفة بالشرع والواقع تدعو كل مسلم أن يقوم لله بحقه نصحاً وبياناً وحرصاً على سلامة هذه الأمة من التفكك وعوامل الانهيار ، فهي الأمة الخاتمة ، والمرحومة ، وهي خير أمة أخرجت للناس ، إن اعتصمت بالوحي الصادق واستقامت على كتاب ربها وسنة نبيها صلى الله عليه وسلم ، وكانت على مثل ما كان عليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته الكرام، وتابعت خير القرون فيما كانوا عليه من علمٍ نافع وعلمٍ صالح ، وحرص على تحقيق الأخوة الإيمانية و الوحدة الإسلامية ، قال تعالى: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ).

الترفع عن العصبيات: عندما يرتفع الإنسان بإسلامه عن حضيض الحزبية و العصبية وسائر النعرات القبلية ، وتتسع نظرته باتساع دعوة الإسلام ، وتكون دوافعه وبواعثه إيمانية ، لا بد أن يقدر معنى التضامن الإسلامي حق قدره ، ويسعى في سبيل تحقيقه باذلاً الغالي والرخيص ومحتسباً ذلك عند من لا تخفى عليه خافية؛ لعلمه أن ذلك من أهم الواجبات والفرائض اللازمة .. فلا يتم أمر العباد فيما بينهم ، ولا تنتظم مصالحهم ولا تجتمع كلمتهم ولا يهابهم عدوهم إلا بالتضامن الإسلامي الذي حقيقته :التعاون على البر والتقوى والتكامل والتناصر ، والتعاطف والتناصح ، والتواصي بالحق والصبر عليه ..

تربص الأعداء: نمر بوقت تتربص بنا فيه قوى الشر والكفر ، فقد أعلنوها حرباً على الإسلام و أهله ، وكما إجتمعو قديماً وقالوا : (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَى) و(وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ) .. فكذلك صنعوا اليوم فأقاموا النظم و الهيئات العالمية ، التي راح المسلمون يدورون في فلكها نتيجة تفرقهم وضعفهم بدلاً من أن يسعوا لإقامة نظامهم العالمي الذي إرتضاه لهم ربهم وخالقهم: (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا) ، فنحن أصحاب رسالة ودين ، لابد من إبلاغه الى الخلق كافة: (لأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ) ، ولا ننكر أن أسباب ضعفنا التي مكنت الأعداء من رقابنا كثيرة ، ودواعي فرقتنا الحاضرة عديدة ، ولكن هذا كله ، لا يمنعنا من الأخذ بالأسباب ، والإهتمام بالبدايات، فلا نجعل الخلاف بيننا في الأقوال والمذاهب وفي الملك والسياسات والأغراض الشخصية حائلاً بيننا وبين تحقيق الأخوة الدينية والرابطة الإيمانية ..

مصلحة الإجتماع من أهم المصالح: فمصلحة الإجتماع مصلحة كلية ، ومطالبة الدين أبناءه بالوحدة والألفة ومنعه لهم من التفكك والتشرذم يأتي مقدما على كل المصالح الجزئية أو

الخاصة أجمع ويقدم على كل شئ ، وكما هو معلوم فالمصالح العامة تتبعها المصالح الخاصة ، ولا بد من نكران الذات ، وإحلال العقلية الجماعية مكانها اللائق بها ، فالإخاء الخاص لا يعني نسيان الإخاء العام ، والاهتمام بالمسجد لا ينبغي أن يشغلنا عن الاهتمام بأمور المسلمين في شتى بقاع الأرض ، والمحلية في حساباتنا لا تتعارض مع عالمية الدعوة ، وأن نكون على مستوي إسلامنا وديننا في كل آن وحين ، حتى وإن كنا مستضعفين ، فهذا لا يغير من الحقائق شيئاً ، فالمستقبل لدين الله تعالي بغلبته وظهوره على الأديان كلها ، وهذا يستلزم أن يعود المسلمون أقوياء في معنوياتهم ومادياتهم وسلاحهم ، وعلينا من الآن أن نسعي في إزالة الضغائن والعداوات الواقعة بينهم ، وأن يكون صوت المسلمين واحداً يتكلم به ويدعو إليه العلماء والكبراء ، ومما يسهل هذا الأمر أن نعلم أن هذا السعي ، هو من أفضل الأعمال ، إنه أفضل من استغراق الزمان بالنوافل من صوم وصلاة وغيرهما ، فأصل الجهاد اتفاق الكلمة وارتباط المسلمين بالأخوة الدينية ارتباطاً وثيقاً : (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ) ..

الوحدة أهم أسباب النصر: وهذا الإرتباط من أعظم أسباب النصر : (وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً مَّا أَلَّفَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَـكِنَّ اللّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) .. فالتأييد هنا حدث بأمر سماوي وأمر معنوي , وهو إجتماع المسلمين و تآلف قلوبهم وحصول التحابب الذي يوجب لكل منهم أن يرى مصلحته و مصلحة إخوانه واحدة و الغاية واحدة , فالواجب على رؤساء الدين و الدنيا العمل لتحقيق الارتباط , لأنه من مقتضيات الإيمان , وكلما قوي إيمان العبد عرف مقدار نفع هذا الأمر , بل التفكك والتحزب و التعصب المقيت دليل ضعف العقل أيضاً , قال تعالى:(تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَعْقِلُونَ) ، وهذه- للأسف الشديد- هي حالة المجتمع الإسلامي اليوم في أقطار الدنيا , يضمر بعضهم لبعض العداوة , وإن جامل بعضهم بعضاً فإنه لا يخفي على أحد أنها مجاملة , والسبب ضعف العقل وضعف الإيمان , فالناس إن لم يجمعهم الحق شعَّبهم الباطل , وإذا لم توحدهم عبادة الرحمن مزقتهم عبادة الشيطان , وإذا لم يستهوهم نعيم الآخرة تخاصموا على متاع الدنيا ، يا قوم : إن الرابطة هي الإسلام ، نصير به كالجسد الواحد ، وبدونه نرتكس لمثل حالة الجاهلية الأولى أو أشد تفرقاً وضياعاً ..

التفرق من خصائص الجاهلية: إن التفرق من خصائص أهل الجاهلية , فأين من يعقل قوله سبحانه : (وَاعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) ، وفي الحديث : (لا ترجعوا بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض) ..

د . سعيد عبد العظيم